العدد 13 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2026
No. 13 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تجليات الاغتراب الرقمي في الرواية العربية المعاصرة رواية حراس السطح لبثينة العيسى إنموذجاً

م.م. أحمد خالد محمد
جامعة الانبار – رئاسة الجامعة – قسم المكتبة المركزية
ahmed.k.mohameed@uoanbar.edu.iq

الملخص:

تستعرض هذه الدراسة إشكالية "الاغتراب الرقمي" في رواية "حراس السطح" لبثينة العيسى، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي وآليات النقد الثقافي للكشف عن الأنساق المضمرة التي تصور الصراع بين الإنسان والمنظومة التقنية. ويتناول البحث كيف تحول الاغتراب من مفهومه الكلاسيكي المرتبط بالمكان والسياسة إلى حالة رقمية تتلاشى فيها الحدود بين الواقع والافتراض، حيث تُجسد الرواية ديستوبيا معاصرة يتحول فيها فعل القراءة من تنوير إلى "إدمان سري" يُصنف كاضطراب فسيولوجي، وتغدو الأجهزة الرقمية "كائنات شيطانية" تستلب زمن الإنسان وجهده. كما يحلل البحث لغة السرد التي طوعتها الكاتبة لتشبه "أوامر البرمجة" وجفاف "لغة الشات"، تبرز فقدان القدرة على البوح الإنساني وتشظي الروابط الأسرية والمكانية، لتخلص الدراسة إلى أن الرواية تمثل مرثية فلسفية وصرخة جمالية لاستعادة إنسانية الكلمة في وجه طغيان الخوارزميات وسياسة التسطيح التي تفرضها السلطة الرقمية.

كلمات مفتاحية : الاغتراب الرقمي ، حراس السطح لبثينة العيسى

Manifestations of Digital Alienation in Contemporary Arabic Fiction: Buthaina Al-Essa's "Guardians of the Roof" as a Case Study

A.L. Ahmed Khaled Mohammed
University of Anbar – University Presidency – Central Library Department

Abstract: This study examines the issue of "digital alienation" in Buthaina Al-Essa's novel "Guardians of the Roof," employing a descriptive-analytical approach and cultural criticism to uncover the implicit patterns that depict the conflict between humanity and the technological system. The research explores how alienation has transformed from its classical concept, linked to place and politics, into a digital state where the boundaries between reality and virtuality blur. The novel embodies a contemporary dystopia where the act of reading, once an act of enlightenment, becomes a "secret addiction" classified as a physiological disorder, and digital devices become "demonic entities" that steal human time and energy. The study also analyzes the narrative language, which the author has molded to resemble "programming commands" and the aridity of "chat language," highlighting the loss of the capacity for human expression and the fragmentation of familial and spatial ties. Ultimately, the study concludes that the novel represents a philosophical elegy and an aesthetic cry for the restoration of the humanity of language in the face of the tyranny of algorithms and the politics of superficiality imposed by digital power.

Keywords: Digital Alienation, Buthaina Al-Essa's "Guardians of the Roof"

مشكلة البحث

تتجلى مشكلة الدراسة في أن التكنلوجيا، رغم أنها وسيلة اتصال خلقت نوعاً جديداً من "العزلة" أو "الاغتراب". فالإنسان المعاصر يعيش في عالمين: واقعي وافتراضي. في هذه الدراسة نسعى للإجابة عن:

كيف جسدت رواية "حراس السطح" لبثينة العيسى هذا التمزق النفسي؟ وكيف طوعت الكاتبة لغة السرد وتقنياته لتناسب عالم "الشاشات وتصور ضياع الحدود بين الذات والآلة؟

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال رصد الظواهر الفنية والموضوعية المتعلقة بـ "الاغتراب الرقمي" في رواية (حراس السطح)، وتحليلها في ضوء المعطيات النفسية والاجتماعية للعصر الرقمي. كما تستعين الدراسة بآليات النقد الثقافي للكشف عن الأنساق المضمرة في النص، وكيفية تصوير الرواية للصراع بين الإنسان والمنظومة التقنية، مع التركيز على تحليل البنية اللغوية والسردية التي وظفتها الكاتبة لتمثيل حالة الاستلاب الوجودي.

المقدمة:

شهد العصر الحديث تحولاً جذرياً في بنية العلاقات الإنسانية، وذلك من خلال الطفرة التقنية المتسارعة، وبطبيعة الحال فإن الادب لم يكن في مأمن من هذا التحول؛ بل كان المرآة الأكثر تأثيراً لانعكاسات التكنلوجيا على الذات البشرية. وإذا كان الاغتراب "مفهوما كلاسيكياً" ارتبط قديما بالمكان والسياسة، فإنه اليوم يتخذ مفهوماً جديداً هو "الاغتراب الرقمي"، حيث تلاشت الحدود بين الواقع والافتراض، وأصبح الإنسان معزولاً خلف شاشته رغم ضجيج التواصل.

رواية "بثينة العيسى"[1] تقدم رؤية "ديستوبية" قاتمة لعالم مستقبلي يُجرم الخيال ويحارب الكلمة، حيث تدور أحداثها حول موظف في هيئة الرقابة يعمل على تنقية النصوص من أي أثر للإبداع، لكنه يجد نفسه في صراع وجودي عندما يبدأ باكتشاف سحر الكتب المحرمة؛ لتتحول الرواية إلى صرخة فلسفية ضد الأنظمة الشمولية التي تسعى لتسطيح الوعي البشري وتحويل الشعوب إلى قطعان منقاذة، مؤكدة من خلال لغة أدبية رفيعة أن الخيال ليس مجرد ترف، بل هو الأداة الوحيدة لحماية إنسانية الفرد وحريته من التلاشي.

حيث يسعى هذا البحث إلى استنطاق رواية "حراس السطح" للكاتبة بثينة العيسى، ليس بوصفها نصاً حكائياً فحسب، بل بوصفها وثيقة جمالية ترصد تشظي الذات العربية في عالم "الخوارزميات". ومن خلال هذه الدراسة سنحاول تتبع ملامح الشخصية الروائية التي تعيش اغترابها بين هويتها الواقعية، وهويتها الرقمية المتخيلة، وتحليل الكيفية التي طوعت بها الكاتبة أدواتها السردية لتمثيل هذا الواقع الجديد.

الفصل الأول: التأصيل النظري:

مفهوم الاغتراب (من الفلسفة إلى الرقمية)، وخصائص الرواية الرقمية/ عن الرقمية.

كان "((الاغتراب)) alienation فيما مضى يستخدم للدلالة على الشخص المجنون؛ والكلمة الفرنسية aliene والإسبانية alienado كلمتان قديمتان تعنيان الذُّهاني، الشخص المغترب تماماً وبكل معنى الكلمة. (وفي الإنجليزية لا يزال مصطلح alienist يُطْلَق على الطبيب الذي يُعنى بالمجانين".[2]

[1] بثينة العيسى (مواليد 1982) هي روائية وكاتبة كويتية بارزة، تعتبر من الأصوات النسائية المؤثرة في الأدب الخليجي والعربي المعاصر. هي مؤسسة ومديرة دار "تكوين" للنشر ومنصة الكتابة الإبداعية منذ 2016، وحاصلة على ماجستير في إدارة الأعمال. تميزت برواياتها التي تناقش القضايا الاجتماعية والوجودية، وحصلت على جوائز عدة، منها جائزة الدولة التشجيعية. انظر: بثينة العيسى، حراس السطح، ط1، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر، 2019.

[2] ينظر: أريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، الاشراف الفني والطباعي: احمد عكيدي، ط1، 2009، ص232.

في القرن الماضي استعمل "هيغل"[3] و"ماركس"[4] مصطلح "الاغتراب" alienation، لا للدلالة "إن الاغتراب، في جوهره، ليس بالضرورة حالة من الجنون الصارخ، بل هو شكل من "التغريب الذاتي" المقنّع الذي يسمح للفرد بالاندماج عملياً في المجتمع مع بقائه منفصلاً عن جوهره، مما يجعله من أخطر العيوب التي يتم تطبيعها اجتماعياً؛ ففي المنظور الماركسي، يتجسد هذا الوضع حين يتحول عمل الإنسان من وسيلة لتحقيق الذات إلى سلطة خارجية غريبة تهيمن عليه وتصادمه، بدلاً من أن تظل أداة طيعة تحت سيطرته وإرادته".[5]

اغتراب " alienation اصطلاح قدمه هيجل واستخدمه ماركس بمعنى مختلف، وهو عند هيجل يفيد يُمثل التاريخ مساراً ارتقائياً يتحول فيه الإنسان من الوعي البسيط إلى شخصية أكثر غنى واكتمالاً؛ فوفقاً لهذه الرؤية، انبثق الوجود عن "العقل المطلق" الذي تجسد في الطبيعة والإنسان، ليصبح التاريخ بأسره عبارة عن رحلة الإنسان (العقل المتناهي) الدؤوبة لفك شفرات الطبيعة والسيطرة عليها، مستعيداً بذلك وحدة العقل ومنتشلاً جوهره من حالة التشتت إلى حالة الوعي والسيادة"[6]

تتناول المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لماركس مفهوم "اغتراب العمل" في النظام الرأسمالي، وهي المقولة التي تطورت من جذورها عند هيجل وفيورباخ لتأخذ طابعاً مادياً واجتماعياً؛ فبينما ركز هيجل على اغتراب "الوعي" وتجلياته الفكرية، وصوّره فيورباخ كاغتراب للإنسان ككائن "مجرد" يتجاوز التاريخ والطبقات، نقل ماركس المفهوم إلى أرض الواقع، ليصبح الاغتراب عنده مرتبطاً بالعامل الملموس الذي يفقد صلته بنتاج يده وجهده داخل بنية طبقية محددة" وهو يضفي مضمونًا اقتصاديًا وطبقيًا وتاريخيًا جديدًا تمامًا على مفهوم "الاغتراب". ويعني ماركسي "بالاغتراب" أو "الانسلاب" العمل الذي يقوم به العامل مجبرًا للرأسمالي، وتملك الرأسمالي لناتج عمل العامل، وانفصال العامل عن وسائل الإنتاج التي تواجهه - وهي في حيازة الرأسمالي - كقوة غريبة مستعبدة. وهنا يقترب ماركس من عرض السمات المميزة للاستغلال الرأسمالي".[7]

تتمثل أبرز ملامح الغياب كما فسرها زيجمونت باومان[8] في "سردية الحداثة السائلة" في اضمحلال حالة الصلابة وما يترتب عليها من "يقين" ذهني ووجداني، حيث فَقَد الواقع الوليد تلك القواعد الثابتة والمستقرة،

---

[3] جورج فيلهلم فريدريش هيغل (بالألمانيةGeorg Wilhelm Friedrich Hegel :) (ولد 27 أغسطس — 1770 14 نوفمبر (1831 فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. يعتبر هيغل أحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. طور المنهج الجدلي الذي أثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. كان هيغل آخر بناة «المشاريع الفلسفية الكبرى» في العصر الحديث. انظر: جورج فيلهلم فريدريش هيغل ،الموسوعة البريطانية .نسخة محفوظة 25 أكتوبر 2017 على موقع واي باك مشين.

[4] كارل هانريش ماركس بالألمانيةKarl Marx) :) ولد في ترير في 5 مايو1818 - وتوفي في لندن في 14 مارس1883)؛ فيلسوف وناقد للاقتصاد السياسي ومؤرخ وعالم اجتماع ومنظر سياسي وصحفي وثوري اشتراكي ألماني؛ درس القانون والفلسفة في جامعتي بون وبرلين، تزوج عام 1843 من الناقدة المسرحية والناشطة السياسية الألمانية جيني فون ويستفالين. بسبب منشوراته السياسية فقد نُزعت الجنسية عنه وأصبح عديماً لها لعقود أثناء عيشه في لندن مع زوجته وأطفاله، خلال حياته طوّر أفكاره بالتعاون مع صديقه فريدرك إنجلز. كتاباته الأشهر هي البيان الشيوعي ورأس المال بأجزائه الثلاثة. كان لفكره السياسي والفلسفي تأثير هائل على التاريخ الفكري والاقتصادي العالمي واستُخدم اسمه للتعبير عن مدرسةٍ فكرية كثيرة التطورات وهي المدرسة الماركسية. انظر:
Hobsbawm , *Eric*. "Marx, Karl Heinrich". *Oxford Dictionary of National Biography*، *مؤرشف من الأصل في 2021-08-19*.

[5] K. Marx, «Capital .. » cf. also Marx- Engels, «Die Deutche Ideo- logie (1845/6) in K. Marx, Der Histoische Materialismus » Die Frübschriften, S. Landschut and D.P. Mayer, Leipzig, 1932, II, p.

[6] عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الناشر: مكتبة مدبولي، ط3، 2000، ص80.

[7] كارل ماركس، مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، ص3.

[8] يُعد زيجمونت باومان واحداً من أهم علماء الاجتماع وفلاسفة العصر الحديث، واشتهر بصياغة مفهوم "الحداثة السائلة". تركز مشروعه الفكري على تحليل التحولات التي طرأت على المجتمعات البشرية عند انتقالها من الحداثة "الصلبة" (المتميزة

لتصبح القوة الدافعة الرئيسة هي السيولة التي تُذيب كل ما هو جامد، محولةً حياة الإنسان من الاستقرار المضمون إلى حالة من التبدل المستمر والشك القائم.

ولعلها من أبرز القواعد الرئيسة المتهمة بتغييب الصلابة وانعكاسها من القصة، في عملية التحديث الذي يستمد قوّته الدافعة من داخله، أي إذابة وتم بيع مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكيانات الثابتة المستقرة أو الكيانات التي تستمد بقاءها واستمراريتها من داخلها على نحو ثابت (البُنى الاجتماعية، والروابط الإنسانية، والنماذج السلوكية، والنماذج القيمية، وما إلى ذلك)". "ناهيك بما يترتب على ذلك التمييع من إضعاف لقوتها وقبضتها على النموذج الإنساني للوجود في العالم، فكان التحديث المتواصل، منذ بدايته وحتى يومنا هذا، السمة البارزة للحداثة. وهكذا فإن ما تتميز به طريقة الحياة الحديثة عن أنماط الحياة السابقة السائدة يكمن في التحديث الوسواس القهري الإدماني - إنه يكمن، دعوني أكرر، في الإذابة المتواصلة والإحلال السريع للبُنى والنماذج الذائبة".[9]

ومن جهة أخرى يرى "إن الجماعات الانفجارية في الكرنفالات أو غرف المعاطف، سمة لا غنى عنها في عصر الحداثة السائلة مثلما لا غنى عنها في مأزق العزلة التي يعانيها الأفراد الصوريون بحكم القانون وسعيهم الحثيث، من دون جدوى بوجه عام، للوصول إلى مستوى الأفراد الحقيقيين بحكم الواقع، فالعروض المثيرة، والشماعات في غرف المعاطف، والاحتفالات الكرنفالية التي تجذب الجماهير الحاشدة، كثيرة ومتنوعة، وتراعي كل الأذواق. فالعالم الجديد البديع الذي رسمه ألدوس هكسلي استعار من العالم الذي رسمه جورج أورويل في رواية ١٩٨٤ حيلة (خمس دقائق من الكراهية) (الجمعية)، وأتمها بذكاء وعبقرية بحيلة ((خمس دقائق من الافتتان)) (الجمعي)، فكل يوم تلوح الصفحات الأولى في الصحف والعناوين الرئيسة لآخر الأخبار بالقنوات التلفزيونية براية جديدة يلتف حولها الناس، ويسيرون وراءها الكتف (الافتراضي) بالكتف (الافتراضي). إنها توفر ((هدفاً مشتركاً)) افتراضيّاً يمكن أن تلتف حوله الجماعات الافتراضية، يدفعها ويسحبها بالتناوب الشعور المتزامن بالذعر (أخلاقي في بعض الأحيان أو غير أخلاقي أو لا علاقة له بالأخلاق في الغالب) والنشوة."[10]

وبطبيعة الحال ""في عالم الحداثة السائلة، "لم يعد الاغتراب انفصالاً عن نتاج العمل كما رآه ماركس، بل صار انفصالاً عن الثبات ذاته. اننا نعيش اليوم اغتراباً رقمياً يتجلى في تحول الكائن الإنساني من مواطن مستقر إلى مستهلك جوال، يبحث عن هويته في تدفق البيانات اللامتناهي. في الفضاء السيبراني، تذوب الحدود بين الحضور والغياب، وتتحول العلاقات إلى "نفرات" عابرة تمنحنا وهماً بالاتصال بينما تعمق في داخلنا شعوراً بالوحدة. إن الاغتراب المعاصر هو ضريبة "السيولة"؛ حيث يهرب الفرد من قيود الواقع الصلب ليجد نفسه سجيناً في واقع افتراضي لا يقدم له وطناً، بل مجرد محطات مؤقتة للاستهلاك، في سباق دائم مع تاريخ صلاحية الهوية والروابط".

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية "حراس السطح"

يعد الاغتراب في رواية "حراس السطح" الخيط الناظم الذي يربط بين شتات الشخصيات وانكسارها، فهو لم يبرز كحالة عارضة وإنما ظهر كبنية وجودية تعكس بذاتها انفصال الفرد عن واقعه المأزوم، ومن خلال هذا الفصل سوف نسعى لتفكيك تجليات هذا الاغتراب عبر تتبع مساراته النفسية والمكانية، حيث يتحول "السطح" من مجرد حيز فيزيائي إلى فضاء رمزي يجسد العزلة الطوعية والقسرية في آن واحد. ومن خلال تحليل الصراعات بين الذات ومحيطها السلطوي والاجتماعي، سنرصد كيف استحال أبطال الرواية

بالاستقرار والروابط المتينة والحدود الواضحة) الى الحداثة "السائلة" التي تتسم بالسيولة، وعدم اليقين، وهشاشة الروابط الإنسانية. انظر: زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر – بيروت، ط1، بيروت، 2016.

[09] زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر – بيروت، ط1، بيروت، 2016، ص20-21

[010] زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ص278.

إلى كائنات هامشية تعيش اغتراباً مركباً يمزق صلتها بالهوية وبالآخر، مما جعل من فعل "الحراسة" طقساً عبثياً يعمق الفجوة بين الوجود الإنساني ومعناه، ويحول الانتظار إلى قيد يكرس غربة الروح في وطنها.

المبحث الأول: اغتراب الذات والجسد (المستوى الانطولوجي)

يعد الاغتراب في رواية "حراس السطح" حالة وجودية تتجاوز الفكر لتستقر في الجسد، حيث يتحول الكائن البشري إلى ساحة صراح بين نداء الفطرة وإملاءات النظام الرقمي. ويمكن رصد هذا التجلي من خلال المحاور الاتية:

١. الاستلاب اللغوي[11] وطقوس التطهر الجسدي .

الاستلاب الوظيفي وسطوة "الكائنات الشيطانية":

لا يتوقف الاغتراب عند حدود اللغة، بل يمتد ليشمل استلاب "الزمن" والجهد البشري لصالح المنظومة التقنية، حيث يتحول العمل إلى سلطة غريبة تستعبد الإنسان. وتصور الرواية هذا الاستنزاف النفسي والجسدي من خلال شعور البطل بالعجز والمرارة تجاه روتين العمل الرقمي القسري: **"لطالما أحسَّ بنفسه غريراً وأعزل، ممتلئاً بالمرارة لمجرد التفكير بأنَّ عليه أن يعمل، على هذا النحو خمسةَ أيامٍ في الأسبوع، سبع ساعاتٍ في اليوم، وأن يقضي الوقت كله في قبضة هذه الكائنات الشيطانية، بسطحها الزّلق، وفخاخها الأبدية. "[12]**

يبرز هذا النص تحول "الأجهزة الرقمية" في وعي الشخصية من أدوات تقنية إلى "كائنات شيطانية" وفخاخ تتربص بالوجود الإنساني. إن "السطح الزلق" هنا ليس مجرد وصف مادي للشاشات، بل هو رمز للإنزلاق نحو فقدان الهوية والذوبان في زمن المنظومة، مما يعمق شعور الفرد بـ "الاستلاب الوجودي"[13] والعزلة خلف الشاشة رغم ضجيج المهام الوظيفية.

"هرع إلى الصنبور ليُريق الماء على وجهه ويدعك خديه، ليُزيل عن محياه آثار الكلمات التي قرأها".

تنتقل بثينة العيسى في هذا المشهد من تصوير الاغتراب كحالة ذهنية إلى تصويره كحالة "حسية جارفة". إن محاولة البطل إراقة الماء على وجهه ليزيل آثار الكلمات تعبر عن "الاستلاب اللغوي"؛ حيث تصبح اللغة في عالم الرواية أداة قمع تترك ندوباً على ملامح الشخصية. الكلمة هنا لم تعد وسيلة تواصل، بل غدت "وصمة" يحاول البطل التطهير منها جسدياً، مما يبرز عمق الفجوة بين جوهر الإنسان "الخيال" وبين الواقع المفروض عليه (الكلمات المراقبة)، في محاولة يائسة لاستعادة براءته الأولى قبل تلوثها أنظمة القراءة الرسمية.

٢. ديستوبيا القراءة[14]: من التنوير إلى الإدمان السري.

---

[11] يعرفه (عماد يوسف) بقوله: "هو "وقوع الكائن العاقل، الذي يمتلك حيزاً من التفكير العادي، والمتفاعل مع محيطه بالضرورة، في موقع الأسر الكلي، وشبه المطلق، لفكرة ما، أو لمقدرة أكثر تأثيراً من مثيلاتها، بحيث تكون اللولب الجوهري الذي تدور في فلكه كل المسميات الأخرى، وبحيث تكون هذه المقدرة بمثابة الرأس الموجه، والذي يطلق العنان لأنفاسه التي تتلقفها ذوات أخرى ليست بنفس السوية الفكرية، ولكنها بالضرورة متأثرة بما تتلقفه من المحيط الذي وقعت في أسره من كل الجوانب". عماد يوسف، مفهوم الاستلاب وفاعلية التغيير – دراسة في التأصيل المعياري للتحديات -، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، عدد22، 2010، مجلد6، ص122.

[12] العيسى: 2019، ص21.

[13] يُعرف الاستلاب الوجودي بانه الحالة التي يغترب فيها الإنسان عن جوهرة وقواه الابداعية، بحيث لا يعود يختبر نفسه كفاعل أو كمركز لعالمه، بل يختبر نفسه كـ "شيء" أو "سلعة" خاضعة لقوة خارجية. انظر: فروم، إريك الإنسان لنفسه، ترجمة: مجاهد، القاهرة، دار الكلمة، ص77.

[14] الديستوبيا لغة: هي "المكان الخبيث" أو "الخرب"، أو "الفاسد".
اصطلاحا: "الديستوبيا تعبر عن المجتمع الفاسد، والمخيف، الذي يسوده الانحطاط والفوضى، والتيه، وفقدان قيمة الذات، مجتمع يحكمه الشر المطلق، ومن أبرز ملامحه التآمر، والقتل، والاستبداد، والقمع، والشمولية، والفقر، والمجاعة، وانتشار

في عالم "حراس السطح" قلبت الكاتبة الآية: القراءة التي هي في الأصل فعل تحرر وتنوير، أصبحت في هذا المجتمع الرقمي القمعي "فعلاً سرياً" يشبه تعاطي الممنوعات.

تنتقل الرواية بمفهوم الاغتراب إلى مستويات غير مسبوقة، حين تجعل من فعل القراءة ممارسة تشبه "الإدمان المحرم". البطل هنا لا يقرأ ليستنير، بل يقرأ مدفوعاً بشهوة المعرفة الممنوعة، وهو ما يضعه في مواجهة مباشرة مع الأساليب التقنية والنفسية التي تتبعها السلطة لغسل الأدمغة وتنفير الناس من الكتب. وتبرز فشل هذه الأدوات القمعية في محو الشغف الإنساني الأصيل بقولها: "لكن تلك الأساليب لم تكن فعّالة معه، ولم يفهم، لماذا لم يكن في وسعه، للحظةٍ حتى، أن يكره الكتاب الذي بين يديه."[15]

ثم يعقب ذلك "شعور بالذنب" يدفعه للتخلص من آثار الكلمات جسدياً. هذا القلب للمفاهيم يجسد أقصى درجات الاغتراب الرقمي؛ حيث تصبح التكنلوجيا والأنظمة هي "المعيار الأخلاقي"، بينما تصبح الثقافة الإنسانية الفطرية إنحرافاً سلوكياً يتطلب التطهر والعلاج.

في قولها: **"جملة الامراض التي تتسبب بها الكتب، وقد بدأت بعض تلك الأعراض في الظهور، عليه، بزوغ استعارت في الرأس، قرص مستمر للزندين، نشل الكتب اللاإرادي، والإدمان المرضّي للقراءة ليلاً، حتى بعد أن تنقطع الكهرباء، مستعيناً بضوء شمعة."**

تصل الرواية بمفهوم الاغتراب إلى أقصى مستوياته حين يتم تصنيف الفعل المعرفي كـ "اضطراب" فسيولوجي. فالبطل لا يكتفي بالشعور بالذنب، بل يراقب جسده كحقل للتجارب المرضية الناتجة عن القراءة: "بزوغ استعارات في الرأس، قرص مستمر للزندين، نشل الكتب اللاإرادي، والإدمان المرضي للقراءة ليلاً"

٣. البلادة الشعورية وتشظي الذاكرة

"يتذكر، على نحوٍ غامض، أن الكتب طردت زوجته خارجاً. "

الاغتراب في الرواية يصل إلى مستواه السوسيولوجي (الاجتماعي) حين تصبح المعرفة سبباً في تمزيق وتشتيت الروابط الإنسانية. إن ذاكرة البطل الغامضة حول رحيل زوجته بسبب الكتب تعكس بدورها حالة "البلادة الشعورية" التي يفرضها النظام الرقمي. لقد تحولت "الكتب" في وعي الشخصية من أداة وصل إلى أداة طرد، مما يبرز ضريبة الوعي في مجتمع "الحراس"؛ حيث يُنفي كل من يحاول الخروج عن النص البرمجي حتى لو كان ذلك النفي يتم داخل جدران البيت الواحد.

المبحث الثاني: اغتراب المكان والروابط الإنسانية (المستوى السوسيولوجي)

ينتقل الاغتراب في رواية "حراس السطح" من حيز الذات والجسد ليتمدد في الفضاء الخارجي، حيث يتحول "المكان" من مأوى آمن إلى بيئة إستلابية طاردة، وتتحول "العلاقات الإنسانية" إلى ضحايا للمنظومة التقنية الصارمة.

١. جدلية الضيق والاتساع: الصراع مع الحيز الفيزيائي.

" بحث لقدميه عن بقعٍ من الفراغ ليطأ عليها في طريقه إلى الحمام" [16]

تتجلى ملامح الاغتراب المكاني في الرواية من خلال صراع البطل مع الحيز الفيزيائي الضيق، حيث تصف الكاتبة محاولاته المضنية للعثور على "بقع من الفراغ" لمجرد العبور. إن هذا المشهد يرمز إلى

المرض بفعل الأوبئة، فهو عالم تعاني فيه الإنسانية من اللاإنسانية". انظر: الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجلة فكر الثقافة، العدد 25، يونيو 2019، ص26.

015 العيسى: 2019، ص 19.

016 بثينة العيسى، حارس سطح العالم (رواية)، رسوم: محمد المهنا، منشورات تكوين، الناشر: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، أيلول/ سبتمبر 2019، ص5.

انحسار الوجود الإنساني أمام طغيان الأشياء والأنظمة التقنية؛ فالفراغ الذي يبحث عنه البطل ليس مكانياً فحسب، بل هو فراغ "نفسي" و "وجودي" يحاول من خلاله استعادة ذاته المستلبة وسط عالم ممتلئ بالضجيج الرقمي والرقابة الصارمة.

٢. تفكك الروابط الأسرية وضريبة الوعي.

لا تكتفي الرواية بتصوير انقطاع الروابط بين الزوجين، بل تذهب إلى أبعد من ذلك بتصوير "الكتاب" ككائن مفترس يمارس عنفاً مادياً؛ فحين يبرر البطل رحيل زوجته بقوله: **"فالأرجح أن الكتاب قد عّضها"**، فإنه يمارس أقصى درجات الاغتراب عن الحقيقة.

٣. سيكولوجية التيه الرقمي ورمزية حبل النجاة.

"ينبغي تثبيت حبل إلى ظهر كل واحدٍ منهم، تحسباً لفكرة أنه قد ضل طريق العودة إلى سطح العالم"

تصل ذروة التصوير الفني للاغتراب في الرواية حين يصبح الإنسان بحاجة إلى "حبل مادي" يربطه بظهره كي لا يضل طريق العودة إلى "سطح العالم". إن هذا المشهد يجسد الرعب الوجودي من الذوبان الكامل في المنظومة الرقمية القمعية. الحبل هنا ليس أداة نجاة فحسب، بل هو اعتراف صريح بأن "الداخل" (عالم الوظيفة والرقابة) هو ثقب أسود يلتصق بالوعي ويمحو الذاكرة، مما يجعل العودة إلى الفطرة الإنسانية (السطح) عملية شاقة ومحفوفة بمخاطر الضياع الأبدي.

الفصل الثالث: لغة السرد والتقنية في ظل الاغتراب.

يرصد هذا الفصل التلاحم العضوي بين المضمون الإغترابي والتقنية السردية في رواية "حراس السطح"، فلم تكن اللغة مجرد وعاء للوصول، وإنما أداة لتعميق الإحساس بالعزلة من خلال جمل مكثفة وإيقاع رتيب يحاكي عبثية الانتظار. سنكتشف هنا كيفية توظيف الكاتبة لتقنيات مثل "المونولوج الداخلي" و"تفتيت الزمن" لتحويل الاغتراب من شعور ذهني إلى تجربة لغوية وجمالية ملموسة، تجعل من بنية النص ذاتها مرآة لانكسار الشخصيات وتشتتها الوجودي.

المبحث الأول: لغة "الشاشات" وانكسار النسق السردي.

لم تعد اللغة الروائية في "حراس السطح" مجرد أداة وصفية كلاسيكية، بل تداخلت معها لغة العالم الرقمي لتصبح جزءاً من بنية النص:

- **جفاف اللغة**: تظهر الجمل مقتضبة ومباشرة "أوامر البرمجة"، مما يعكس جفاف المشاعر، وتضع الإنسان في ظل النظام. ويتفق هذا القول مع كلام هربرت ماركوزه حول لغة المجتمع الصناعي والتقني التي تفقد قدرتها على النقد وتتحول إلى لغة وظيفية أحادية البعد. حيث يقول: "إن المجتمع الصناعي المتقدم نظام من سلطات متقاصة. ولكن هذه القوى يلغي بعضها البعض في مستوى أعلى، فتربطها مصلحة مشتركة وتتحد لتدافع عن الأوضاع القائمة ولتعممها، ولتكافح تطوراً تاريخياً معيناً ولتجمد التغير النوعي".[17]
- لغة "الشات": تبرز الحوارات في الرواية بصورة مقتطعة وسريعة تشبه مراسلات التطبيقات الرقمية، وكأنها مراسلة بين شخصين، مما يعزز حالة "الاغتراب اللغوي" وفقدان القدرة على

[17] هربارت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الاداب – بيروت، ط3 1988، ص86.

البوح الإنساني العميق، ويشير سعيد يقطين إلى "أن الوسيط الرقمي يفرض على السرد لغة "برقية" تختزل البعد البلاغي التقليدي لصالح السرعة". [18]

المبحث الثاني: سيمياء التجليات الرقمية (قراءة في الأنساق المضمرة)

استخدمت الكاتبة الرموز الرقمية كوثيقة جمالية تعاين تشظي الذات والواقع:

تشفير المشاعر (الإيموجي): يعبر استعمال الرموز التعبيرية داخل النص عن اختزال الانفعالات البشرية المعقدة في أيقونات بصرية جامدة، مما يسلب اللغة قدرتها الفطرية على التعبير. هذ الاختزال يمثل جوهر "الاغتراب عن الذات" يوضح اريك فروم في كتابه (الإنسان لنفسه) عمق الاغتراب في الشخصية التسويقية؛ حيث لا يخبر المرء نفسه كفاعل لقواه بل: "يخبر المرء نفسه بوصفه سلعة لا بل بوصفه البائع والسلعة التي تباع معاً"[19]، وفي هذا الجانب يتسائل الدكتور "عبد الله الغذامي" بقوله: "هل التكنلوجيا ضد الأنسان...؟! يقول بودريار نعم، وهو يصف أمريكا بأنها صحراء من اللامعنى، وهي صورة للمآل الذي سيؤول إليه الآخرون، وهو مآل غير مبهج وغير إنساني في عرف بودريار، غير أن كلنر يرد عليه واصفاً إياه بالعدمية من جهة وبالمركزية الأوربية من جهة ثانية، ويرى أن العصر التكنلوجي يحمل نشوته الخاصة في هذه العلاقة الجديدة بين الإنسان والآلة، وهي علاقة دخل فيها الانسان الى عالم الأسرار الكبرى، واتصل مع الأحداث وقت حصولها، مما يعني أننا لسنا في عصر تكنلوجي جديد فحسب، ولكننا أيضا في عصر ثقافي جديد ونحتاج معه الى كشف الخطاب المعبر عن حال هذه المرحلة وشرطها الإنساني / التكنلوجي المزدوج."[20] وبطبيعة الحال يفقد الإنسان صلته بتعبيراته التلقائية ويستبدلها بقوالب جاهزة. على الرغم من أن رواية "حراس السطح" لا تصرح بمصطلحات تقنية معاصرة مثل (الهاشتاق أو الإيموجي)، إلا أن الكاتبة قد نجحت في بناء عالم "ديستوبي" يجسد جوهر هذه الأدوات وآثارها الإستلابية. ويمكن استنطاق النص للكشف عن هذه الأنساق الرمية المضمرة، من خلال آليات النقد الثقافي:

- النسق المضمر لـ "الإيموجي" (تشفير المشاعر والبلادة الشعورية): يبرز هذا النسق في الرواية من خلال تحويل الانفعالات البشرية المعقدة إلى ردود فعل آلية جامدة. هذا الاختزال يمثل جوهر "الاغتراب عن الذات"؛ حيث يوضح إريك فروم "أن الإنسان في الشخصية التسويقية يفقد صلته بتعبيراته التلقائية ويستبدلها بقوالب جاهزة". وتتجلى هذه البلادة الشعورية في الرواية حين تصف الكاتبة ذاكرة البطل المشوشة تجاه أعمق روابطه الإنسانية نتيجة التسطيح الرقمي: "يتذكر على علة نحو غامض، أن الكتب طردت زوجته خارجاً".[21]
- النسق المضمر لـ "الهاشتاق" (الوسم كأداة لقولبة الفكر وتوجيه القطيع): يظهر جوهر "الهاشتاق" في عالم الرواية كأداة سلطوية لـ "الوسم" وتقنين المعنى، حيث يتم اختزال المعرفة في "عناوين" مراقبة تمنع العقل من التفكير خارج المربعات المرسومة. وتتجلى سلطة هذا النسق من خلال الأنساق التالية:

– هندسة المعنى المسطح وآلية "القص": تعتمد المنظومة في الرواية سياسة "تطهير" الكلمات لتؤدي معنىً واحداً مسطحاً وآمناً، وهو ما يمثل الوظيفة الرقابية للهاشتاق في حصر النقاش العام : " كانت الكلماتُ تُقصّ، تُهذّب، وتُحذف، لكي لا تترك في ذهن القارئ إلا معنىً واحداً، مسطحاً وآمناً".[22]

---

018 سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الابداع الرقمي، الناشر: المركز الثقافي العربي ت الدار البيضاء – المغرب، 2005، ط1، ص114.

019 فروم، اريك. (الإنسان لنفسه): بحث في سيكولوجية الاخلاق، المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط1، 1991، ص102.

20 عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، الناشر: المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية – الدار البيضاء، ص 35-36.

021 العيسى، بثينة (2019). حراس السطح (ط. 1). الناشر: بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص156.

022العيسى، 2019، ص 88.

- التجييس الارتدادي والالتفاف حول "الترند": يتجلى نسق الهاشتاق في قدرة السلطة على حشد الجماهير خلف شعارات موجهة، يسير خلفها الجميع "الكتف الافتراضي بالكتف الافتراضي"[23]، مما يذيب الفردية في حالة جماعية تمليها المنظومة.
- حراسة السطح المعرفي: يعمل الهاشتاق كآلية لضمان بقاء الوعي على "السطح" ومنع الغوص في عمق الحقائق، وهو ما يعبر عنه شعار الحراس الصريح: "نحن حراس السطح، مهمتنا هي التأكد من أحداً لا يغوص، لأن الغوص يعني الغرق في الأسئلة"[24]. وتتجلى هذه الرؤية في تجريد اللغة من أبعادها التأويلية لتصبح مجرد أداة رقابية مسطحة تخدم النظام، حيث تورد لب الرواية على لسان حراسها: "اللغة كلها سطح. ليس فيها تضاريس، وإذا ما حافظنا على سطحية اللغة. أصبحنا قادرين على مراقبتها."[25]

وخلاصة الأمر إن استخدام مصطلحات "الوسم" او ما يسمى "بالهاشتاق والإيموجي" في هذا البحث هو قراءة نقدية للأدوات التي وظفتها بثينة العيسى لتمثيل "الاغتراب الرقمي". فالمعرفة في الرواية تحولت من فضاء للتنوير إلى "وسوم" مراقبة، واللغة تحولت من أداة تعبير إلى "أوامر برمجة جافة"، مما يوثق مفهوم "الاستلاب التقني" الذي تجعل فيه السلطة من السطحية الملاذ الوحيد الآمن.[26]

الخاتمة:

في ختام هذا التطواف النقدي في عوالم "حراس السطح"، نخلص إلى أن الرواية لم تكن مجرد سرد "ديستوبي" عابر، بل كانت مرثية فلسفية تجسد انكسار الذات الإنسانية تحت وطأة "الاغتراب الرقمي". لقد استطاعت بثينة العيسى أن تصور الفجوة العميقة التي صنعها العصر التقني بين "القارئ" وكتابه، وبين "الرقيب" وذاته، محولة المعرفة من فضاء للتحرر إلى قيد من العزلة.

ويمكن إيجاز ملامح هذا المشهد الجمالي والفكري فيما يلي:

- انقلاب المفاهيم ومحنة القراءة: تحول فعل القراءة في ظل "الاغتراب الرقمي" من فعل تنويري إلى "إدمان سري" يمارسه البطل في عتمة الليل خلف الأبواب الموصدة. ففي مجتمع الحراس، لم يعد الكتاب مصباحاً للعقل، بل صار "وصمة" يحاول القارئ التطهر منها بصب الماء على وجهه، في محاولة يائسة لغسل أثر الكلمات التي تنبت كأورام في ذاكرته.
- تشظي الجسد واستلاب الروح: كشفت الدراسة أن الاغتراب لم يتوقف عند حدود الوعي، بل استوطن الجسد؛ حيث أصبحت القراءة تُعامل كمرضٍ فسيولوجي يتسبب في "بزوغ استعارات في الرأس" ونحول في الأطراف. وبالمقابل، تجلى استلاب "الرقيب" في انحصاره داخل زنزانة الشاشات التي وصفتها الرواية بـ "الكائنات الشيطانية"، حيث تبتلعه المهام الوظيفية القسرية وتسرق منع نبض الزمن.
- اللغة كأداة للتمزيق لا للوصل: رصد البحث كيف طوعت الكاتبة لغة السرد لتصبح مرآة لهذا التمزق؛ فاستحالت الجمل مقتضبة وجافة تشبه "أوامر البرمجة"، غايتها هندسة معنى مسطح وآمن يمنع القارئ من الغوص في الأسئلة الوجودية الكبرى.

---

[23] باومان، زيجمونت (2011). الحداثة السائلة. ترجمة: حجاج أبو جبر. القاهرة: الشبكة العربية للأبحاث والنش. ، ص 112.

[24] العيسى/ 2019، ص24.
[25] العيسى: 2019، ص 11-12.
[26] العيسى، 2019، ص91.

- اغتراب الروابط ورمزية الحبل: بلغت الغربة ذروتها حيث صار الكتاب "كائناً مفترساً" يطرد الشريك ويمزق الدفء الأسري، مما جعل العودة إلى الفطرة الإنسانية تتطلب "حبلاً مادياً" يربط الإنسان بظهر العالم كي لا يضل طريق العودة من ثقوب المنظومة الرقمية السوداء.

إن هذه الدراسة تؤكد أن "حراس السطح" تضعنا أمام مرآة قاسية لواقعنا "السائل"، حيث يهرب الإنسان من صرامة الواقع ليغرق في "سيولة" الافتراض. لتبقى الرواية صرخة جمالية تدعو لاستعادة "إنسانية الكلمة" في وجه طغيان الخوارزميات، وتعلن أن الحراسة الحقيقية لا تكون فوق الأسطح الباردة، بل في أعماق الروح التي تأبى الاستلاب والاندثار.

المصادر والمراجع :

- Hobsbawm , Eric. "Marx, Karl Heinrich". Oxford Dictionary of National Biography.، مؤرشف من الأصل في.19-08-2021
- K. Marx, «Capital .. » cf. also Marx- Engels, «Die Deutche Ideo- logie (1845/6) in K. Marx, Der Histoische Materialismus » Die Frübschriften, S. Landschut and D.P. Mayer, Leipzig, 1932, II, p.
- بثينة العيسى، حارس سطح العالم (رواية)، رسوم: محمد المهنا، منشورات تكوين، الناشر: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، أيلول/ سبتمبر 2019.
- جورج فيلهلم فريدريش هيغل ،الموسوعة البريطانية .نسخة محفوظة 25 أكتوبر 2017 على موقع واي باك مشين.
- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جير، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر – بيروت، ط1، بيروت، 2016.
- سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الابداع الرقمي، الناشر: المركز الثقافي العربي ت الدار البيضاء – المغرب، 2005، ط1.
- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، الناشر: المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية – الدار البيضاء.
- عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، الناشر: مكتبة مدبولي، ط3، 2000.
- عماد يوسف، مفهوم الاستلاب وفاعلية التغيير – دراسة في التأصيل المعياري للتحديات -، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، عدد22، 2010، مجلد6.
- فروم، اريك. (الإنسان لنفسه): بحث في سيكولوجية الاخلاق، المجتمع السوي، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ط1، 1991.
- كارل ماركس، مخطوطات عام 1844 الاقتصادية والفلسفية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى.
- هربارت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، منشورات دار الاداب – بيروت، ط3 1988.
- هيئة التحرير في مجلة الفكر، الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجلة فكر الثقافة، العدد 25، يونيو 2019.